النظرية الوضعية هي نظرية تختص بالفلسفة وعلم الاجتماع، وهي قائمة على تفسير الأحداث بعين التجربة باستخدام العلوم الطبيعية وفق ترتيب معين للعلوم بعيداً عن تفسيرات ما وراء الطبيعة أو أي تفسيرات مسبقة، وقام بوضع الأساس فيلسوف ذو أصل فرنسي يدعى أوغست كونت، ومن ثم مرت بالعديد من المراحل المختلفة التي ساهمت في تطورها

الركائز الأساسية للنظرية تعتمد النظرية الوضعية عند أوغست كونت على مجموعة من الركائز، نبينها في النقاط الآتية:

تستند كل العلوم المستقاة من الأحداث الواقعية على النتائج الإيجابية للتجربة. تنكر النظرية كل ما يتعلق بالتفسيرات الروحانية، وعالم ما وراء الطبيعة. تعتبر أن ما وراء الواقع رياضيات ومنطق بحت

خصائص النظرية الوضعية تتميز النظرية الوضعية

بمجموعة من الخصائص، ومنها ما يأتي: العلم يعتبر في هذه النظرية المصدر الوحيد الصالح للمعرفة. أفضل طريقة للتعلم هي التجربة والمراقبة المباشرة. الطريقة

التي تسلكها الفلسفة لا تختلف عن طريق العلم، بل تترابط فيما بينها. الحقيقة أداة للمعرفة. الاستنتاجات المسبقة، والتخمين مرفوضان في هذه النظرية. تقوم هذه النظرية على إنشاء مجموعة من الأسس المشتركة بين العلوم المختلفة، واستخدام هذه الأسس في تفسير السلوك الإنساني وتنظيمه

النظرية الوضعية وقانون المراحل الثلاث وضع أوغست كونت أسس بناء النظرية الوضعية اعتماداً على قانون المراحل الثلاث، والذي بدوره ينص على أن الفكر البشري يمر بثلاث مراحل متعاقبة، وهي؛ الدينية، والميتافيزيقية، والإيجابية (العلمية)، حيث يرى أن المرحلة الأولى هي حجر الأساس للعقل البشري، وأن المرحلة الأخيرة (العلمية) هي الحالة الاعتيادية لهذا العقل، كما يرى أن المرحلة الثانية (الميتافيزيقية) ما هي إلا جسر عبور من المرحلة الأولى إلى الأخيرة، ويتم ذلك كما يأتي:

المرحلة الأولى: هي الأساس في طريق بحث الإنسان عن أسباب وتفسيرات الأحداث التي تحدث حوله، وعلاقة العالم الروحاني وما وراء الطبيعة في هذه الأحداث. المرحلة الثانية: يحدث في هذه المرحلة تغيير طفيف على الطريقة السابقة، إذ تبقى الأسئلة المطروحة

كما هي، ولكن الإجابات المتعلقة بها ذات التفسير يحل محلها تفسيرات تجريدية. المرحلة الثالثة: ينصب اهتمام البشري على القوانين التي تنظم الأحداث بدلاً من التركيز على إيجاد الأسباب الخاصة بها، كما يتحول من منظور مطلق إلى منظور نسبي، حيث يعتقد بأنه لا يمكن الوصول للحقيقة الكاملة، ولكنه يقترب منها، وهذا ما يسمى (نهج التواصل)، وتعد هذه المرحلة أكثر ما يميز النظرية الوضعية.

التسلسل الهرمي للعلوم في النظرية الوضعية حصر الفيلسوف أوغست كونت العلوم التي استخدمها في تفسير النظرية الوضعية في ستة علوم جوهرية، ورتبها ضمن تسلسل هرمي، حيث بدأ بالرياضيات؛ لأنه يرى أن هذا العلم لا يحتاج وجود أي علوم أخرى مسبقة لتفسيره، ويأتي بعده العلوم الخمسة الأخرى، بحيث يكون كل علم يفسره ما قبله، وفيما يلي نذكر الترتيب لهذه العلوم:
الرياضيات ونظرية الأعداد. علم الفلك. علم الفيزياء. علم الكيمياء. علم الأحياء والوظائف الحيوية. علم الاجتماع. كان غياب علم النفس عن هذا التسلسل الهرمي بسبب عدم وجود هيكل أساسي يشرح هذا

العلم في ذلك الوقت، ولكن كونت كان يؤمن أن هذا العلم سيكون جزءاً من علم الأحياء، وعلى وجه الخصوص علم أعصاب الدماغ، فضلًا عن كونه الأب لعلم الاجتماع، وتجدر الإشارة إلى أن كونت يشدد على انتقال هذا العلم من الملاحظة إلى القوانين مثل الفيزياء، والكيمياء

أوغست كونت يعد أوغست كونت فيلسوف فرنسي أسس علم الاجتماع بالإضافة إلى هذه النظرية، حيث كان متأثراً في آراء مجموعة من الفلاسفة الفرنسيين منهم؛ تورجوت، وجوزيف دي مايستر، وكان هناك تشابه في أفكار الفيلسوف سان سيمون مع أفكاره، ولم ينعدم الأمر من وجود أوجه معارضة بينهما، كما قدم مجموعة من المحاضرات التي تتعلق بالفلسفة الإيجابية في عام 1826م لحشد من الناس، حيث انقطع عن تقديم هذه المحاضرات بسبب إصابته بانهيار عصبي، وعاد بعد ذلك عام 1828م، كما كللت هذه المحاضرات بالنجاح، والتي انتهت في عام 1829-1830م، ومن الجدير بالذكر أنه خصص 12 سنة لكتابة هذه المحاضرات في ستة مجلدات، وأطلق على هذه الكتابات اسم الدورات الفلسفية الإيجابية.

النظرية الوضعية لدى **سان سيمون** لقد تميزت النظرية الوضعية بتأثيرها القوي على الاتجاهات أو النظريات الأخرى، وفي سرعة انتشارها وشيوعها بين الناس، والهدف منها يتأتى من سعيها إلى تحديد المعرفة الإنسانية، وتفسير الظواهر الطبيعية تفسيرًا ذاتيًا بطريقة مقنعة.

الهدف هو أن **يقدم سان سيمون للمجتمع طريقةً ملموسةً تبين أهمية الفرد** في تقديم طريقة واضحة نحو تطور الإنسانية، ووصولها نحو أفضل طور بشري مجتمعي يهيئ ثورة علمية كبيرة لدى الحياة على جميع أصعدتها؛ فقد كان يميل نحو تطبيق المنهج العلمي الفلسفي في دراسة المجتمع مجموعة وأفرادًا.

وقد **رأى سان سيمون أن المنهج الوضعي** يعتد به في تغيير الإنسانية إلى حياة تتمتع بنظام ثابت مطور في داخله؛ فقد رأى أن علم الاجتماع والصناعة يخرجان من مشكاة واحدة أي أنهما علمان قائمان بحد ذاتهما يمكنان الفلاسفة من التعقيب خلف الجوانب المختلفة للبيئة الإنسانية بأفضل طريقة

فكر سان سيمون في طريقة تضم أفراد المجتمع في سياق علمي يمكنه تشكيل أنساق اجتماعية جديدة تتكيف مع التطور وتقدم أفضل صورة له من خلال تجهيز الأفراد ليكونوا فاعلين ومحورين يستطيعون أن يقدموا صورة معاصرة للحياة الاجتماعية، من خلال استخدامه للصناعة الحديثة التي تلائم فكره الناضج والتخلي عن الأساليب الاعتقادية التي تسبب الركود في عقل الإنسان

خصائص النظرية الوضعية لدى سان سيمون على الرغم من شيوع هذه النظرية، وتمكنها غالبًا من تقديم وصف علمي دقيق للمجتمع الإنساني، فقد تميزت النظرية الوضعية لدى سان سيمون ببعض السمات الخاصة بها التي تفصل بينها وبين النظريات الأخرى، منها ما يعكس طريقة تناول المادة العلمية وكيفية التعامل معها، ومنها ما يأتي: الاعتماد على الأحداث والنتائج الملموسة. البحث عن مفاهيم فلسفية منطقية. اعتماد الوصف والملاحظة. عدم الأخذ بالجانب الاعتقاد. ارتكاز النظرية على المنهج العقلي والمنطقي

مفهوم النظرية الوضعية هي إحدى النظريات

الاجتماعية التي تتخذ اتجاهًا فلسفيًا يركز على دراسة علم الاجتماع وفق ضوابط معيارية عقلية تعتمد على المنطق؛

إذ **تتم دراسة علوم المجتمع ضمن أسس ثابتة ترتكز في البحث على الحجج والأدلة العلمية**، على العكس تمامًا من تلك العلوم التي تنحو باتجاه أسس اعتقادية غير المثبتة. مثال على ما سبق الجانب اللاهوتي العقائدي، وبطريقة أدق هي نظرية تتخذ ملاحظة المعرفة في العلوم والأحداث من خلال ربطها بأحداث أخرى؛ فهي نظرية تتناول العلوم التي تتعامل مع العقل والفعل بشكل مباشر.

يمكننا القول في سياق حديثنا عن الوضعية أن هذه النظرية تختلف أدواتها عن غيرها في تناول المادة المطروحة؛ لأنها تقوم على ربط الملاحظة بما يتناسب مع العقل، وهذا ما جعلها تتسم بالوضعية والثبوتية، من خلال فرض الطابع المحسوس بالتجربة بطريقة مدروسة ومنطقية تعبر عن الحقائق بشكل أدق

سبب نشوء النظرية الوضعية تطورت هذه النظرية في القرنين التاسع عشر والعشرين على يد رواد الاتجاه الفلسفي الوضعي؛ ولعل ذلك يعود إلى عدم مناسبة

الاتجاه العلمي الفلسفي لجميع المراحل الزمنية؛ فقد اتخذ من العلوم ملامح دراسية تعتمد على معطيات التجربة والملاحظة والتحليل، ويعود سبب تسميتها بالوضعية؛ لأنها تركز على دراسة ما هو قائم بإثباتات وأدلة ناهيك عن دقة الوصف والملاحظة.

كان ظهور **النظرية ردة فعل على النظرية التجريبية التي تتخذ التجربة فقط أداة رئيسةً لها في وضع الملاحظة حول الدراسات،** الأمر الذي قد يصعب على هذه النظرية تطبيق المنهج على كل العلوم الإنسانية، حيث جاء المنهج الوضعي أكثر مصداقية في القدرة على التنبؤ ومحاكاة العلوم والمعارف الاجتماعية، وبإمكانية الملاحظة والتجربة وصولًا إلى نتائج موثوقة تُخلص المجتمع من الضعف وتكسبه قوةً وتطوّرًا.

إن **فلسفة العلوم الأخرى عاجزة بدورها العلمي عن تقديم تبرير تجريبي للدراسات كافة، وقد شكل هذا الأمر صعوبة في الوصول بدقة لكل** من العلم والمعرفة الفلسفية؛ بسبب سطحية النتائج وعدم القدرة على تطبيق مفاهيم النظرية الوضعية عليها، فإن عدم الاقتناع ببعض النتائج دفع الفلاسفة لاستحداث النظرية الوضعية المنطقية التي تقدم صورة لطبيعة العلم وتعكس ما نعرفه عن التاريخ، وتبرز الجانب

المتقدم من المجتمع.

العالم أوغست كونت أوغست كونت هو العالم والفيلسوف الاجتماعي الفرنسي أوغست كونت الذي يعتبر بمثابة الأب الشرعي للفلسفة الوضعية ومؤسسها، كما أنه مُطلق اسم علم الاجتماع على العلم الحالي، ويعود له الفضل في التأكيد على ضرورة خلق نظريات علمية قائمة على المُلاحظة، وتمتاز كتاباته بالتأمل الفلسفي العميق. وقد اقترن ذكر أوغست كونت بالمذهب الوضعي المُعتمد على مبدأ تمجيد العلم وتعظيمه والتخلص من الميتافيزيقا ورفضها تماماً بمعناها التقليدي، ويذكر بأن له إسهامات شكّلت نقطة تحوّل جذري في حياة تاريخ الفكر السوسيولوجي

حياة أوغست كونت وُلِدَ كونت في التاسع عشر من شهر يناير سنة 1798م في مدينة مونبلييه، ونشأ وترعرع في كنف أسرة متديّنة بالكاثوليكية إلّا أنّه لم يصبح كعائلته نظراً لرفضه الدين الذي وُلد عليه ولكافة الديانات، فأظهر كُفره بها منذ سن الرابعة عشرة، حظي كونت بمقعد في مدرسة الفنون التطبيقية في باريس سنة 1813م إلّا أنّه لم يلتحق بها فعلياً إلّا في عام

1814م لصغر سنه، وقد طُرِد منها في سنة 1816م إثر تزعمه حركة عصيان طُلابية. ومع حلول سنة 1817م انخرط كونت في العمل كسكرتير لدى الكاتب الاشتراكي الكبير سان سيمون، ويقال بأنّ نزاعاً دّب بين الطرفين نتيجة اختلاف بينهما ببعض القضايا الفكرية، وجاء ذلك بعد مضي خمس سنوات من عمله لديه. والتحق بعدها بعدد من الجامعات ليلقي محاضرات في الفلسفة والمذاهب التي جاء بها كالمذهب الوضعي وعلم الاجتماع، وبالرغم مما تقدّم إلّا أنّ حلقة من الإحباطات والفشل قد أحاطت بحياته فحاول الانتحار بعد إصابته بمرضٍ عقلي عدة مرات وعاش بحالة فقر وعوز شديديّن ضمن مراحل حياته المختلفة

أقدم ستورات مل على تخصيص مرتب شهري لكونت ليتمكن من مواصلة بحوثه، فاستقر نفسياً ومادياً، إلّا أنّ الأزمة النفسية عاودت أدراجها بعد أن عاش قصة حب فاشلة مع امرأة لم تبادله الشعور فتصوّف وجعل من محبوبته رمزاً للإنسانية فصلى لها واعتبرها شيطانه الموسوس له بكتابة مذهب في السياسة الوضعية.
وتوفي في الخامس من شهر سبتمبر سنة 1857م في باريس ودفن في مقبرة بير لاشيز

إنجازات أوغست كونت ترك أوغست كونت أثراً عظيماً في العلوم الإنسانية، حيث جاء بعلم الاجتماع، والمذهب الوضعي، واهتم بعلم الفلك، والطبيعة، والكيمياء والحياة، وقدّم كتباً في شتى مجالات اهتمامه ومنها: دراسات في الفلسفة الوضعية، ونظام في السياسة الوضعية، وصاغ قانونه الشهير (قانون الحالات الثلاث)، كما رصد عدداً من القواعد لمنهج البحث عنده فأشار إلى الملاحظة، والتجربة، والمنهج المقارن، والمنهج التاريخي كقواعد لمنهجه

إيجابيات الوضعية يمكن تلخيص أهم إيجابيات ومزايا المدرسة الوضعية في النقاط الآتية: الميل للأساليب الكمية لا البحوث النوعية حينما يتعلق الأمر بتقنيات البحث، فإن أنصار المدرسة الوضعية يميلون إلى الاعتماد على الأساليب الكمية لا البحث النوعي، ويرجع هذا إلى أن البحث الكمي يعتمد على تطبيق أساليب علمية مع وجود السبب والنتيجة، وفي المقابل لا يستند البحث النوعي إلى الأرقام، بل يستند إلى تقنيات بسيطة لا يمكن قياسها

اتباع هيكل وبنية محددة من أهم مميزات المدرسة

الوضعية هو أنها تتبع في منهجها بنية وهيكلًا محددًا طوال الوقت، إذ إنه على الباحثين اتباع مجموعة من القواعد والقوانين دائمًا، وبسبب وجود هذه الإرشادات المحددة فإن فرص الأخطاء تقل لتصل إلى أدنى حد لها، إذ ستتبع النظرية الوضعية نمطًا وقواعد واضحة ومحددة، ستحصل بموجبها على أرقام دقيقة، وهذا سيعطي البحث مصداقية تفتقر إليها معظم البحوث النوعية في مجال علم الاجتماع.

إعطاء الباحث القدرة على التحكم من مميزات المدرسة الوضعية أن الباحث يكون هو المتحكم؛ لأن طبيعة الدراسة تكون كمية بحتة، وتقتصر على جمع البيانات التي ستجعل الباحث هو المتحكم الوحيد، وستمكنه من الإمساك بزمام الأمور، وهذا لا يحدث في البحث النوعي.

سلبيات الوضعية على الرغم من إيجابيات المدرسة الوضعية، إلا أن هناك بعض العيوب والسلبيات الواضحة فيها، والتي يمكن توضيحها في نقطتين رئيسيتين، هما كالآتي: تجاهل السلوك البشري المدرسة الوضعية تؤمن بأنه يمكن الوصول إلى الاستنتاجات الموضوعية بسهولة، طالما كان الشخص يقوم بالملاحظة الموضوعية ويستبعد عواطفه ويتجاهلها، ومع ذلك فإن

السلوك البشري مرتبط بشكل طبيعي بالاستجابات العاطفية، فعلى الرغم من أن الوضعية تشجع الباحث على تجاهل المشاعر والسلوك البشري، إلا أنه لا يوجد ضمان أن ذلك سيحدث في جميع الأوقات أثناء الدراسة والبحث.

عدم المرونة يعتقد بعض العلماء أنه نظرًا لأن المدرسة الوضعية تعتقد أن كل شيء يمكن قياسه وحسابه، فإنهم بهذا يميلون إلى أن يكونوا لا يتحلون بالمرونة، إذ يرى الوضعيون الأشياء على ما تبدو عليه ويتجاهلون أي ظاهرة غير مبررة.

فإذا كانت النظرية التي تقول أن "أ" يحدث فقط حينما يتحد "ب" و "ج"، فلا يمكن أن تكون "ب" أبدًا هي "أ"، وهذا الاعتقاد يمكنه استبعاد التفكير الجانبي، وهو عملية إيجاد الإجابات من خلال البحث عن طرق مختلفة وخلاقة وغير مباشرة لحل المشكلة

المدرسة الوضعية الوضعية هي نظرية تقول إن علم اللاهوت والميتافيزيقيا هما أنماط معرفة غير مكتملة، وأن المعرفة الإيجابية هي ما تستند إلى الظواهر الطبيعية التي يتم التحقق منها بواسطة العلوم التجريبية، ويستخدم مصطلح الوضعية لوصف المنهج

الذي يقوم بدراسة المجتمع اعتمادًا على الأدلة العلمية التجريبية، مثل التجارب والإحصاءات وغيرها.
وتؤمن المدرسة الوضعية أن الواقع موجود خارج العقل وبصورة مستقلة عنه، إذ يمكن دراسته بموضوعية كشيء حقيقي، ويعتقد أنصار المدرسة الوضعية أن هناك حقائق اجتماعية هي التي تشكل قواعد المجتمع، والتي تتسم بأنها منفصلة ومستقلة عن الأفراد.
كما يعتقدون أن هذه الحقائق الاجتماعية تتمثل في أشياء كالمؤسسات والمعايير والقيم، والتي توجد بشكل مستقل عن الأفراد لكنها تقيدهم، ويعتقد الوضعيون أنهم باستخدام البيانات الكمية يستطيعون الكشف عن الأسباب والنتائج التي تحدد السلوك البشري.

التعريف بالفلسفة الوضعية الفلسفة الوضعية

"positivism" هي فرع من فروع الإبستمولوجيا (نظرية المعرفة) التي نشأت في القرن الثامن عشر، وكانت تيارًا نقيضًا لعلوم اللاهوت والميتافيزيقا اللذين يعتمدان على المعارف الإيمانية والاعتقادية غير التجريبية، لذلك كان المنهج التجريبي الاستقرائي هو المنهج الذي اتبعه الفلاسفة الوضعيون، لذلك رأت

الفلسفة الوضعية أن البحث الفلسفي لا يجوز أن يتعدى ما هو محسوس ومادي، وكان لهذه الأفكار جذور في الفلسفة اليونانية

لكن **فرنسيس بيكون وهو فيلسوف حديث نادى بالأورغانون الجديد، وكانت له إرهاصات فلسفية وضعية، فقد كان هذا التطور في التيارات الفلسفية نتيجة لتقدم العلوم الطبيعة، وانفصالها عن الفلسفة، فلا يجوز ان تتقدم العلوم الطبيعية والتجريبية في حين تظل الفلسفة تدرس الميتافيزيقا والأنطولوجيا (علم الوجود).**

لذلك نادوا بالتطور الحتمي للفلسفة، كما أن الكنيسة الأوروبية كانت مسيطرة بأفكارها اللاهوتية على الفلسفة، واختلط الأوروبيون بالحضارة العربية وأفادوا من العلوم العربية، وإنجازاتهم، وهذه الأسباب دفعت الفلاسفة إلى إعادة النظر في البحوث الفلسفية
في ذات الوقت بدأ التشريع لظهور تيارات أكدت على قدرة العقل البشري على التأسيس للمعرفة من خلال الاستقراء، وعرفت التيارات التي نادت بقدرة الإنسان على التفكير لوحده دون أي سلطة خارجية، بالتيارات المستنيرة، نسبةً إلى فلسفة عصر التنوير.

مؤسس الفلسفة الوضعية يعد الفيلسوف وعالم الاجتماع أوغست كونت مؤسس الفلسفة الوضعية، في القرن التاسع عشر، عاش في الفترة (1798-1857م) وقد وضع مصطلح الوضعية على أساس افتراضه الذي مفاده أن العالم سيصل إلى مرحلة متقدمة جدًا من الثقافة والفكر، ستجعله قادرًا على نفي كل الأفكار والميتافيزيقية التي سيطرة على المعرفة البشرية، وجعلتها تحيد عن المنهج التجريبي، والمعرفة التي ستصمد أمام الاختبار هي فقط المعارف العلمية المنهجية التي تعتمد على الحس والتجربة.كان لأوغست كونت إنجازات وبحوث أكاديمية ضخمة جدًا، إلا أنه توفي منتحرًا بسبب عدم رضاه عن مدى الاعتراف الأكاديمي به، مما جعله يلقي بنفسه في نهر السين.
منهج الفلسفة الوضعية وظفت الفلسفة الوضعية المنهج العلمي الاستقرائي الذي لا يعتمد على التأمل المحض، بل يعتمد على التجربة العلمية، وتجدر الإشارة إلى أن الفضل في علمية علم الاجتماع يرجع إلى أوغست كونت، فما أراد كونت تحقيقه هو الوصول بالعلوم الإنسانية وخاصة علم الاجتماع والفلسفة إلى نفس مستوى علمية العلوم الطبيعية، وتحقيق ازدهار معرفي يوازي الازدهار الذي تم تحقيقه في العلوم الطبيعية.

طرح أوغست كونت أغلب أفكاره الوضعية في كتابيه "مذهب في السياسة الوضعية"، و"دروس في الفلسفة الوضعية" وكلاهما يعدان من الأعمال الموسوعية التي تقع في عدة مجلدات، وكان يكتب بالتفصيل عن كيفية إضفاء المنهج العلمي الوضعي على مختلف الميادين الاجتماعية الإنسانية، فقد اقترح مثًلا أن يكون هنالك فصل واضح المعالم الزمنية، فعلى ألا تتدخل في السلطة الزمنية وهي السلطة الخاصة بشؤون الحياة اليومية.

إعداد الباحث البروفيسور تركي بن عبدالمحسن بن عبيد